

روح المعاني

إلى الإيمان فينا في التكليف وأجاب الإمام بأنه لا إلهاء لأن الأكثر فيه خوف السقوط عليهم فإذا أستمروا في مكانه مدة وقد شاهدوا السموات مرفوعة بلا عماد جاز أن يزول عنهم الخوف فيزول الألهاء ويبقى التكليف وقال العلامة : كأنه حصل لهم بعد هذا الألهاء قبول إختياري أو كان يكفي في الأمم السالفة مثل هذا الإيمان وفيه كما قال السالبيكوتي إن الكلام في أنه كيف يصح التكليف بخذوا إلخ مع القسر وقد تقرر أن مبناه على الإختيار فالحق أنه إكراه لأنه حمل الغير على أن يفعل ما لا يرضاه ولا يختاره لو خلى ونفسه فيكون معدما للرضا لا للإختيار إذ الفعل يصدر بإختياره كما فصل في الأصول وهذا كالمحاربة مع الكفار وأما قوله : لا إكراه في الدين وقوله سبحانه : أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين فقد كان قبل الأمر بالقتال ثم نسخ به خذوا ما آتيناكم بقوة هو على إضمار القول أي قلنا أو قائلين خذوا وقال بعض الكوفيين : لا يحتاج إلى إضماره لأن أخذ الميثاق قول والمعنى وإذا أخذنا ميثاقكم بأن تأخذوا ما آتيناكم وليس بشيء والمراد هنا بالقوة الجد والإجتهاد كما قاله ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ويؤى إلى عدم التكاثر والتغافل فحينئذ لا تصلح الآية دليلا لمن ادعى أن الإستطاعة قبل الفعل إذ لا يقال : خذ هذا بقوة إلا والقوة حاصلة فيه لأن القوة بهذا المعنى لا تنكر صفة تقدمها على الفعل وأذكروا ما فيه أي أدرسوه وأحفظوه ولا تنسوه أو تدبروا معناه أو أعملوا بما فيه من الأحكام فالذكر يحتمل أن يراد به الذكر اللساني والقلبي والأعم منهما وما يكون كاللزام لهما والمقصود منهما أعني العمل لعلكم تتقون 36 قد تقدم الكلام على الترجي في كلامه تعالى وقد ذكر ههنا أن كلمة لعلم تعلقة بخذوا وأذكروا إما مجاز يؤول معناه بعد الإستعارة إلى تعليل ذي الغاية بغايته أو حقيقة لرجاء المخاطب والمعنى خذوا وأذكروا راجين أن تكونوا متقين ويرجع المعنى المجازي أنه لا معنى لرجائهم فيما يشق عليهم أعني التقوى اللهم إلا بإعتبار تكلف أنهم سمعوا مناقب المتقين ودرجاتهم فلذا كانوا راجين للإنخراط في سلوكهم وجوز المعتزلة كونها متعلقة بقلنا المقدر وأولوا الترجي بالإرادة أي قلنا وأذكروا إرادة أن تتقوا وهو مبني على أصلهم الفاسد من أن إرادة الله تعالى لأفعال العباد غير موجبة للصدور لكونها عبارة عن العلم بالمصلحة وجوز العلامة تعلقها إذا أول الترجي بالإرادة بخذوا أيضا على أن يكون قيما للطلب لا للمطلوب وجوز الشهاب أن يتعلق بالقول على تأويله بالطلب والتخلف فيه جائز وفيه إن القول المذكور وهو خذوا ما آتيناكم بعينه طلب التقوى فلا يصح أن يقال خذوا ما آتيناكم كمطالبنا منكم التقوى إلا بنوع تكلف فأفهم ثم توليتم من بعد ذلك أي أعرضتم عن الوفاء بالميثاق

بعد أخذه وخالفتم واصل التولي الإعراض المحسوس ثم أستعمل في الإعراض المعنوي كعدم القبول ويفهم من الآية أنهم أمثلوا الأمر ثم تركوه .

فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين 46 الفضل التوفيق للتوبة والرحمة قبولها أو الفضل والرحمة بعثة رسول الله وإدراكهم لمدته فالخطاب على الأول جار على سنن الخطابات السابقة مجازا بإعتبار السلاف وعلى الثاني جار على الحقيقة والخسران ذهاب رأس المال أو نقصه والمراد لكنتم مغبونين هالكين بالإنهماك في المعاصي أو بالخط في مهاوي الضلال عند الفترة وكلمة لولا إما بسيطة أو مركبة من لو الإمتناعية